وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

بعنوان

{ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا }

للشيخ

يوسف بن حسن الحمادي

-حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

فإن من فضل الله -تبارك وتعالى- علينا، وإحسانه -جل وعلا- إلينا أن هدانا للإسلام وجعلنا من أهله، فإن الهداية إلى هذا الدين هو دليل الفلاح كما ثبت ذلك في صحيح مسلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ »[1] فهذه شهادة نبوية من النبي -صلى الله عليه وسلم- بالفلاح لمن هُدي إلى هذا الدين.

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٣/ ١٠٢) برقم: (١٠٥٤)

والأخذ بهذا الدين علمًا وعملًا هو سبيل النجاة كما قال الله -تبارك وتعالى-: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[آل عمران:٨٥].

أما من ابتغى هذا الدين دينًا، وأخذه، ومشى عليه، وسلك نهجه وسبيله فإنه من الناجين، ولا عجب في ذلك، فإن المتأمل فيه حق التأمل يرى أنه من مصلحةٍ دقيقةٍ، ولا جليلةٍ إلا أرشد إليها، ولا خير إلا دل عليه، ولا شر إلا حذر منه، كما قال -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح: « مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ ، إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ »[(١)] وهذا دليلٌ على كمال هذا الدين، أنه ما من خير إلا دل عليه، وما من شرٍ إلا حذر منه.

ولهذا قال -تبارك وتعالى-: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا }[المائدة:٣].

ومن دلائل كمال هذا الدين: توجيهه إلى رعاية الناس على اختلاف طبقاتهم، وإرشاده إلى إعطاء كل فئة من المجتمع حقها اللائق بها والمناسب

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٩ / ٤٩٨٥) برقم: (٢١٧٥٨)

لحالها، فالعلماء لهم معاملةٌ تخصهم، والأصدقاء لهم معاملة تناسبهم، وولاة الأمور من الحكام وغيرهم لهم معاملة تليق بهم.

والنساء جعل الله -تبارك وتعالى- للتعامل معهن من قبل الرجل ضوابط معينة، وهكذا بقية الطبقات .

ومن تلك الفئات التي جاءت الأدلة الشرعية بالعناية بها عنايةً عظيمة فائقة، واهتمت بها اهتمامًا عظيمًا: **الوالدان.**

فبرّ الوالدين والإحسان إليهما مِنْ أجلّ الطاعات وأعظم القربات، خرج البخاري في [الأدب المفرد] وصحح هذا الأثر الإمام الألباني -رحمه الله تعالى-، قال عبد الله بن عباس -رضي الله تعالى عنهما-: "إني لا أعلم عملٌ أقرب إلى الله -عز وجل- من بر الوالدة"

ونحن إذا رجعنا إلى الله -عز وجل- وقلبنا النظر في سنة نبيه -صلى الله عليه وآله وسلم- نجد أن النصوص تنوعت طرقها، وتعددت أساليبها في بيان هذا العمل الجليل.

وهنا قاعدة: الشيء إذا كثرت الأدلة عليه، وتنوعت طرق بيانه في الكتاب والسنة فإنه يدل على أمرين اثنين:

الأمر الأول: على أهمية هذا الشيء وفضله.

الأمر الثاني: على شدة الحاجة إليه.

وهكذا الشأن في مسألة الوالدين، فإن النصوص قد تكاثرت في بيان فضلهما، وتنوعت في بيان الحث والترغيب على القيام بحقوقهما، وإن مما يدل على عظم هذا العمل وفضله أن الله -تبارك وتعالى- تولى بنفسه بيان بعض أحكامه، وهذه نقطة أرجو أن ننتبه لها، مما يدل على عظم هذا العمل، وفضله، وجلالته، ومنزلته أن الله -تبارك وتعالى- تولى بنفسه بيان بعض أحكامه، وفصّل العديد من أجوره وثوابه.

فمن ذلك: أنه -تبارك وتعالى- قرن حق الوالدين بحقه في أكثر من موضع في كتابه، وما هو حق الله تعالى؟

حق الله تعالى بينه النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله: « حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا »[1] أي أن يفردوه -تبارك وتعالى- بالعبادة ولا يشركوا به -تبارك وتعالى- شيئًا من خلقه.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٢٩) برقم: (٢٨٥٦) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٤٣) برقم: (٣٠)

ومن النصوص في القرآن التي تُبين أن الله –جل وعلا– قرن حقه وهو التوحيد بحق الوالدين قوله –تبارك وتعالى–: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} هذا حق من؟ الله

{وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا }[الإسراء:٢٣]، هذا حق الوالدين.

وقال –تبارك وتعالى–: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} هذا حق من؟ الله

{ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}[الأنعام:١٥١]، هذا حق الوالدين.

وقال –تبارك وتعالى–: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[لقمان:١٣]، هذا حق من؟ حق الله

{وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ}[لقمان:١٤] هذا حق الوالدان، فهذا مما يبين عظم هذا العمل وقدره.

ومن ذلك: أن الله –تبارك وتعالى– الله أخبر في كتابه أن بر الوالدين من أخلاق الأنبياء وشأن رسله وأعمالهم، قال –تبارك وتعالى– عن يحي –عليه السلام–: {وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا}[مريم:١٤]، وقال عن عيسى –عليه الصلاة والسلام–: {وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا}[مريم:٣٢]،

فالقائم بهذا العمل؛ قائمٌ بعمل من أعمال الرسل -عليهم الصلاة والسلام- ومتصفٌ بصفةٍ من صفات الأنبياء.

ومن ذلك أن الله-تبارك وتعالى- أخبر في كتابه أن بر الوالدين مما أخذ الله -تبارك وتعالى- عليه الميثاق، والعهود على من كان قبلنا من الأمم كبني إسرائيل وغيرهم، قال -تبارك وتعالى-: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَّ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}[البقرة:٨٣].

فهذا يدلنا على أن هذا الأمر محل اهتمام، وكبير عناية ورعاية في سالف الأمم قبلنا.

ومن طرق بيان منزلة هذا العمل الجليل: أن الله -تبارك وتعالى- قرن الأمر بشكر الوالدين بشكره، قال -جل وعلا-: { أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}[لقمان:١٤].

ومما يبين منزلة هذا العمل أن -جل وعلا- قرن الأمر بشكر الوالدين بشكره -عز وجل-، فشُكْر الله -تبارك وتعالى- القيام بعبوديته وأداء حقوقه، واستعمال نعمه في طاعته، قال -جل وعلا-: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ}[لقمان:١٤].

ومما يبين عناية الله -تبارك وتعالى- ويجلي منزلتهما أن الله -عز وجل- أوصى بهما في مواضع عديدة من كتابه .

(أوصى) ولاحظوا، التصريح بالوصية، التصريح بالوصية بالشيء يدل على الاهتمام قال -جل وعلا-: {وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ}[لقمان:١٤]، تصدر الآية بقول: {وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ}.

وقال -جل وعلا- في سورة الأحقاف: {وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا }[الأحقاف:١٥]، فذكر في الآية الأمر بالوصية بالوالدين.

والنبي -عليه الصلاة والسلام- من تمام نصحه -صلى الله عليه، وآله وسلم- لأمته، وكمال شفقته عليها أكد هذه الوصية بقوله: « إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ (ثَلَاثًا) ، إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ ، إِنَّ اللهَ يُوصِيكُمْ بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ »[(١)].

(١) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (٤ / ٦٣١) برقم: (٣٦٦١)

فحق وحريٌّ بكل مسلم أن يرعى هذه الوصية وأن يعمل بموجبها لعل الله -تبارك وتعالى- أن يرفع قدره، وأن يغفر ذنبه، وأن يعلي منزلته.

وهكذا سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- تدل على ما دل عليه كتاب الله -جل وعلا- في بيان فضل هذا العمل ومنزلته، فقد بين -صلى الله عليه وسلم- أن هذا العمل من أحب الأعمال إلى الله -عز وجل-.

فقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله تعالى عنه- قال: سألت النبي -صلى الله عليه وسلم-: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا» قلت: ثم أي؟ قال: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قلت: ثم أي؟ قال: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»[1]

فلاحظوا: بيّن -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث أن من جملة الأعمال المحبوبة لله -عز وجل- هي ماذا؟

بر الوالدين، فهذا يعني أن القائم بهذا العمل قائمٌ بأمرٍ يحبه الله -تبارك وتعالى-.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١١٢) برقم: (٥٢٧)

وما ظنكم إن كان المرء يحرص على أن يعمل أعمالًا يحبها الله، أترون أن الله -تبارك وتعالى- لا يحبه؟ هذا بعيد، من تتبع محاب الله -تبارك وتعالى- فإن الجزاء من جنس العمل، أعني أن الله -تبارك وتعالى- يحبه ويوفقه، ويفتح له أبواب الخير .

بل وصف -عليه الصلاة والسلام- رعاية الوالدين وبرهما بالجهاد، بل قدّمه على الجهاد، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر بن العاص -رضي الله عنهما- قال: جاء رجلٌ إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فاستأذنه في الجهاد، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «أحي والداك؟» وهذا من تمام النصح أيتها الأخوات، من تمام نصح النبي -عليه الصلاة والسلام- لأفراد أمته أنه يدلهم على الأفضل دائمًا، فقال: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ قَالَ : نَعَمْ قَالَ : فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»[1] أي: أن عملك وقيامك بشؤونهما وحرصك على خدمتهما هذا من الجهاد «ففيهما فجاهد».

وأخبر -عليه الصلاة والسلام- أن الحرص على هذا العمل، والقيام بشأن الوالدين موصلٌ إلى الجنة، فقد أخرج الطبراني وغيره من حديث معاوية السلمي رضي الله عنه قال: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- فقلت: يا

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٥٩) برقم: (٣٠٠٤)

رسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله، فقال -عليه الصلاة والسلام-: « أُمُّكَ حَيَّةٌ ؟ " فَقُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « الْزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الْجَنَّةُ »[١]

أي: أن الجنة عندها، وهي طريقٌ وسبيلٌ من السبل التي تُوصل إلى الجنة.

وأخبر -عليه الصلاة والسلام- عن فوز بعض الصحابة رضوان الله عليهم بالجنة بسبب بره لوالدته، فقد أخرج الحاكم وغيره من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ودَخلْتُ الجنة» أي: النبي -صلى الله عليه وسلم- « فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةً، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ " ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : " كَذَلِكُمُ الْبِرُّ كَذَلِكُمُ الْبِرُّ »[٢] قالت عائشة: **وكان أبرُّ الناس بأمه -رضي الله تعالى عنه-.**

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٦ / ٣٣٠٢) برقم: (١٥٧٧٨)

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (١١ / ٥٨٢٦) برقم: (٢٤٧١٤)

ولهذا لما عَظُمَ أمر الوالدين كان رضا الله -تبارك وتعالى- في رضاهما، وسخطه -جل وعلا- في سخطهما، يقول -عليه الصلاة والسلام-: « رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ »(١)

أي: أن رضا الوالدين سببٌ لرضا الله -تبارك وتعالى-، وسخط الوالدين يؤدي إلى سخط الله -عز وجل-، وهذا يعني أن الإنسان يكون على تحفظٍ تام، وعلى رعايةٍ كاملة في أمر الوالدين؛ لأنهما سببٌ من أسباب رضا الله -عز وجل-، وسببٌ من أسباب سخطه إن قام الإنسان بما يوجب السخط.

ولهذا كان من الأسباب التي بها تُقضى الحاجات، وتفرج الكربات، ويُبارك في الأعمال: بر الوالدين.

وإليكم هذه الحادثة، ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشَوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَمَالُوا إِلَى غَارٍ فِي الْجَبَلِ» يعني لجأوا إلى غار في جبل، والغار معروف، قال: «فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ» أي أنه نزلت من الجبل صخرة، فسدت باب الغار، «فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ» ، وهنا لا بد من

(١) أخرجه الترمذي في "سننه" (٣ / ٣٧٤) برقم: (١٨٩٩)

اتخاذ الأسباب التي تُوجب النجاة، فكانوا رحمهم الله ناصحين لأنفسهم، وناصحين لبعضهم البعض، «فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ صَالِحَةً» ، لاحظوا هذين القيدين، أعمالًا صالحة وفي الوقت نفسه عملتموها لله.

قال: « انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ صَالِحَةً ، فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يَفْرُجُهَا عنكم» أي توسلوا إلى الله -عز وجل- بأعمالكم الصالحة لعل الله -تبارك وتعالى- أن يزيل عنكم هذه الشدة، فبدءوا «فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وامرأتي وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ» يعني هؤلاء هم أفراد العائلة، الوالدان، والزوجة، وصبيةٌ صغار، قال: «وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ» يعني أنني إذا رددت الماشية من المراح، والمراح معروف هو مرعى الماشية، فإذا رددت الماشية من المراح؛ حلبت.

قال: «فإذا أرحت عليهم حلبت بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فسقيتهما قبل بني، وَإِنَّهُ نَاءَتْ بِيَ ذات يومٍ الشَّجَرُ» يعني ابتعدت عن منزلي ومكاني مكانًا بعيدًا طلبًا للحطب، «وإنه ناء بي ذات يوم الشجر فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا ، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ» يعني هذه العادة وهذا العمل الذي أقوم به يوميًا

فعلته، « فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا» يعني الوالدان «وأَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا ، وَأَكْرَهُ أَنْ أسقي الصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا» يعني الرجل بين عدة أمور وجد والديه نائمين وفي الوقت نفسه يريد أن يطعهما، وفي الوقت نفسه يكره أن يوقظهما، وفي الوقت نفسه يكره أن يسقي الصبية قبلهما كمالًا في البر.

قال: « وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ» يعني يصيحون من الجوع « فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ» يعني حالي وحالهم «حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ» يعني الوالدان نائما، والولد قائم، والأولاد والصبية يصيحون تحته من الجوع، ومع ذلك قال: «فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر» هذه هي صفة هذا العمل الذي كان يقوم به الرجل مع والديه.

أتى به هذا الرجل أثناء أمرٍ وقع له وهو: التوسل إلى الله -تبارك وتعالى- بهذا العمل الصالح حتى يفرج الله عنه هذه الكربة، مما يدلنا على أن بر الوالدين سببٌ لتفريج الكرب، ماذا قال الرجل في دعائه؟ قال: «فَإِنْ كُنْتَ

تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا منها فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ» قال: «فَفَرَجَ اللهُ منها فُرْجَةً فرأوا مِنْهَا السَّمَاءَ»[١] إلى آخر الحديث.

فتأملوا كيف كان بر هذا الولد بوالديه سببًا لإزالة الصخرة وإزالة الشدة؟

وهذا الحديث فيها فوائد عظيمة وجليلة، ومما يخصنا في موضعنا ما نبهت عليه في بداية الحديث أنهم قالوا: **"انظروا أعمالًا عملتموها صالحة لله"**، فهذا نستفيد منه فائدتين:

الفائدة الأولى: أن بر الوالدين عملٌ صالح.

الأمر الثاني: إذا ثبت أنه عملٌ صالح هذا يعني أنه لا بد أن نخلص لله - تبارك وتعالى- فيه النية، فلا يلجأ الإنسان إلى القيام بهذا العمل ليُقال أنه بار، أو لغير ذلك من المقاصد السيئة الدنيئة، لا، بل ينوي بذلك التقرب إلى الله - تبارك وتعالى- وطلب الزلفى عنده -جل وعلا-.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣/ ٧٩) برقم: (٢٢١٥)

بعد هذا لقائلٍ أن يقول: إذا كان هذا فضل بر الوالدين، وهذا هو أجره في كتاب الله -عز وجل- وسنة النبي -عليه الصلاة والسلام- فما هو البر المأمور به في الكتاب والسنة؟ وما ضابط بر الوالدين؟

بيّن هذا أهل العلم، وهذا البيان منطلقٌ من كتاب الله -عز وجل- وسنة النبي -عليه الصلاة والسلام-، إذا تأملنا النصوص الواردة في الأمر ببر الوالدين نجد أن الله -تبارك وتعالى- في مواضع عديدة يقول: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}[النساء:٣٦].

والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال لبعض أصحابه في أمره بطاعة والديه: «ارجع فأحسن صحبتهما» فهذا الإحسان بالوالدين ورد في كتاب الله -عز وجل-، وبسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومطلقًا من غير تقييد بعملٍ معين، فكل قولٍ، أو عملٍ بدني أو غيره فيه إحسان؛ فإنه داخل في البر، هذا هو الضابط، فكل أمرٍ، كل قولٍ، أو فعلٍ بدنيٍ، فيه إحسانٌ إلى الوالدين، وترفقٌ بهما، ولطفٌ بهما، وقيامٌ بخدمتهما، وسعي بحاجتهما، كله داخلٌ فيما أمر الله -تبارك وتعالى- به في كتاب، ونبيه -عليه الصلاة والسلام- في سنته.

وكل هذا مقيد بماذا؟

مقيدٌ بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: « لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ »[١] وبقوله -عز وجل-: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا}[لقمان:١٥]، أي أن طاعة الوالدين مقيدةٌ بطاعة الله -عز وجل-، فلا طاعة لهما إذا أمرا بمعصية الله -عز وجل-.

ونحن إذا تأملنا نصوص الكتاب والسنة نجد أنه قد نُصّ على عدة أمورٍ بها وبما في معناها أيضًا يحصل الإحسان ويتحقق البر، إذا تأملنا قول الله -تبارك وتعالى-: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا}[الإسراء:٢٣].

هنا جاء الأمر ببيان بعض نماذج البر { إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}[الإسراء:٢٣-٢٤].

إذا تأملنا هذه الآية نجد أنها قد اشتملت على الإحسان إلى الوالدين بالإحسان القولي والإحسان الفعلي .

---

(١) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٣/ ٤٤٣) برقم: (٥٩٢٤)

أما الإحسان القولي: ففي قوله -عز وجل-: { فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ}، أي فلا تتسبّب في أذيتهما أدنى أذية { فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} وفي الوقت نفسه { وَلا تَنْهَرْهُمَا} أي لا تقل لهما قولًا غليظًا، خشنًا، لا تقل هذا.

{ فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}، فالله -تبارك وتعالى- نهى عن القول الغليظ، ونهى عن الأذية بأدنى شيء بالقول، ثم بعد هذا أكد على هذا -تبارك وتعالى- بالمنطوق، فقال: { وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}أي قولًا هينًا، لينًا، لطيفًا، به يفرحون، وبه يسرون، وبه تنال رضا الله -تبارك وتعالى-.

ثم قال: { فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ }، هذا إحسان فعلي الذي ذكرناه في جملة الضابط الذي تقدم، أي تواضع لهما {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} أي تواضع لهما تواضعًا تامًا {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}، وهذا أمر من الله -عز وجل- بالدعاء للوالدين، وخص ذلك بالرحمة لحاجة الناس والعباد إلى رحمة الله -تبارك وتعالى-.

وأقول: إن عامة المسلمين أو غالبهم ممن وفقه الله -تبارك وتعالى- لبر والديه يمر ببره لوالديه بمرحلتين:

المرحلة الأولى: البر في الحياة.

المرحلة الثانية: البر بعد الممات.

تقدم معنا أن كل إحسانٍ قولي، أو فعلي أو بدني فإنه من البر، وتقدمت آية الإسراء وبيانها في هذا، ومن برهما في الحياة عدم التسبب في إيذائهما من قبل الغير كما قال -عليه الصلاة والسلام-: « أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَسُبَّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ » قالوا: يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه؟ دافع هذا السؤال من الصحابة أن هذا أمرٌ لا يُمكن أن يقع لسلامة فطر الصحابة رضوان الله عليهم من هذا الأمر الشنيع القبيح، فاستغربوا قالوا: كيف يسب الرجل والديه؟ فقال -عليه الصلاة والسلام-: « يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ »[1] يعني أن الأمر يرجع عليه والعياذ بالله.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٣) برقم: (٥٩٧٣) ومسلم في "صحيحه" (١ / ٦٤) برقم: (٩٠)

ومن برهما في حياتهما: الفرح بفرحهما، وإدخال السرور عليهما، والأدب معهما في الجلوس، أو الحديث، وتجنب كل سببٍ يؤدي إلى إزعاجها، وأعظم صور البر في الحياة وأرجو التنبه:

أعظم صور البر في الحياة دعوتهما إلى الخير، إرشادهما إليه، تذكيرهما به، تعليمهما ما يحتاجان إليه من أمور دينهم ودنياهم، وتحذيرهم من كل شر، فهذا هو شأن أنبياء الله -عز وجل- وتأملوا هذه الحادثة العظيمة التي ذكرها الله -تبارك وتعالى- في كتابه، وهي: الحاصلة بين إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- وبين والده.

قال -عز وجل-: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا}[مريم:٤١]، هنا يبدأ الحوار بين إبراهيم وبين والده في الدعوة إلى الخير.

{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}[مريم:٤٢-٤٥].

تأملوا هذا الخطاب العالي في الأدب والرفيع في الدعوة إلى الحق، لاحظوا أن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- بدأ هذه الخطابات بقولٍ لطيف، فيه تذكيرٌ بالرابطة التي بينه وبين والده، فقال: يا أبتِ، يا أبتِ، يا أبتِ، في كل خطاب.

في الخطاب الأول قال: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا}[مريم:٤٢]، بين له -عليه الصلاة والسلام- أن ما هو عليه لا ينفع ولا يضر، بل لا يسمع ولا يبصر فكيف يليق بك أيها الوالد وأنت العاقل الذي يسمع، ويبصر، ويميز بين النافع والضار أن يلجأ إلى هذا المعبود؟!!

الخطاب الثاني قال: {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ }، لاحظوا لم يقال يا أبتِ إني أعلم منك، قال: {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ}، يعني أنني وإياك مشتركان في العلم، لكني خصصت ببعض العلم الذي ليس عندك.

{يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ }، فائدة هذا العلم لاحظوا، قال: { فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا}.

الخطاب الثالث قال: {يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا}[مريم:٤٤]، فنهاه عن عبادة الشيطان، وبين له خطورة ذلك.

وفي الخطاب الأخير قال: {يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ}، بين له الشفقة، والحرص عليه، والخوف عليه، وأن الدافع لهذه الدعوة وبيان هذا الحق هو الخوف عليه من عذاب الله { إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}[مريم:٤٥].

فهذه الحادثة و هذا الخطاب الذي ذكره الله -تبارك وتعالى- عن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- هو في الحقيقة منهج حياة في التعامل مع الوالدين، في هذا النطاق أي: الدعوة للخير والتحذير من الشر فلا بد من إظهار الرحمة والشفقة عليهما، لا بد من بيان ضرر الشيء الذي يفعلونه إن كان فيه شر، وأيضًا لا بد من بيان الفائدة التي تحصل لهم إن كانت الدعوة إلى الخير، لا بد من بيان الفضل، والأجر، والثواب الذي يحصل لهما إن قاما بهذا العمل.

لكن هنا يُراعى أمورٌ عدة في هذا الجانب:

يراعى الرفق: «فإن الرفق ما كان في شيءٍ إلا زانه»[١] وأولى الناس بالرفق هما الوالدان.

لا بد من العلم يعني إذا أرادت المرأة أو الرجل نصح الوالد لا بد أن يكون عالمًا بهذه المسألة التي سيبينها، لا يكون الدافع عليه العاطفة، أو الحماس، أو مجرد الغيرة الدينية من غير ضوابط شرعية.

هذا خلاصة ما يتعلق بهذه الآية، وهذا موجز ما يمكن أن يقوم به الإنسان في البر بوالديه حال الحياة.

أما البر بعد الممات: وأسوق ذلك باختصار، لكن قبل هذا أقول:

لا بد من وقفة وهي: أن الميت إذا مات انقطع عمله بموته، وهنا لا بد من السؤال والعودة إلى النصوص الشرعية في كتاب الله، وسنة النبي -عليه الصلاة والسلام- لنعلم ما الذي يصل إلى الميت؟ وما الذي ينفع الوالدين من ابنهما بعد موتهما؟

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤/٢٠٠٤) برقم: (٢٥٩٤)

أقول: الناصح الشفيق -صلى الله عليه وسلم- علينا قد جاء ببيان عدة أمور أخبر -صلى الله عليه وسلم-، وبين أنها تصل إلى الوالدين.

فقد جاءت النصوص ببيان عدة أمور بالعمل بها يستمر البر للوالد وهو في قبره، وفيها أيضًا تدوم هذه الطاعة للولد وهو على قيد الحياة:

فمن ذلك: الاجتهاد في الدعاء للوالدين، يقول -صلى الله عليه وسلم-: « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »[1] قال: «أو ولدٍ صالح يدعو له» والدعاء يكون بالرحمة، ويكون بالمغفرة، ويكون برفع الدرجات إلى غير ذلك، لكم لاحظوا قال -عليه الصلاة والسلام- «أو ولدٍ صالح يدعو له»، وهذا يعني أن الإنسان لا بد أن يسعى في سبل أسباب الصلاح التي بها يتذكر الدعاء للوالدين؛ لأن الإنسان إذا كان بعيدًا عن الخير فإنه والعياذ بالله دعاؤه لوالديه بعيد.

ومن ذلك: الاستغفار للوالدين، فبالاستغفار تُرفع درجة الوالدين في الجنة، ثبت في ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٥ / ٧٣) برقم: (١٦٣١)

صلى الله عليه وسلم- قال: « إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ »(١).

ومن بر الوالدين بعد الممات: صلة أرحامهما، وإكرام صديقهما .

ففي صحيح مسلم من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رجلًا من الأعراب لقيه بطريق مكة ابن عمر، عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- كان مسافرًا إلى مكة، فلقي في طريقه أحد الأعراب ماذا فعل؟ قال: "فسلم عليه عبد الله، وحمله على حمارٍ كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه" .

ثلاثة أمور فعلها مع هذا الأعرابي، فقال له ابن دينار وهو صاحب عبد الله بن عمر ورفيقه في السفر، فقال له:" أصلحك الله إنه من الأعراب، وإنهم يرضون باليسير" فقال عبد الله: "إن أبا هذا" يعني والد هذا، لاحظوا، "إن أبا هذا كان ودًا لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: « إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ »(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (٤ / ٦٣١) برقم: (٣٦٦٠ (م))

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٦) برقم: (٢٥٥٢)

وعن أبي بردة -رضي الله عنه- قال: قدمت المدينة، يعني مدينة النبي -صلى الله عليه وسلم- "فأتاني عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهم-، فقال: أتدري لما أتيتك؟" لاحظوا عبد الله بن عمر زار شخص آخر من أصحاب والده، أو أرحام والده، قال: "أتدري لم أتيتك؟ قلت: لا" أبو بردة يقول لابن عمر: لا أدري لماذا زرتني؟ قال: "سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ ، فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ »[١] وإنه -يقول ابن عمر- "وإنه كان بين أبي ي-عني عمر- وبين أبيك سخاءً وودًا، فأحببت أن أصل ذلك".

ومن البر بعد الممات: تنفيذ وصية الوالد، أو الوالدة، وكذلك قضاء الدين عنهما، ومن برهما كذلك الصدقة عنهما، فقد ثبت في الصحيحين من حديث عائشة -رضي الله عنها- أنه رجلًا قال: إني أمي افتلتت نفسها -يعني: ماتت فجأة- ولم توصي، وأبرها، يعني هذا الرجل يقول للنبي -صلى الله عليه وسلم- وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجرٌ إن تصدقت عنها ولي أجرٌ؟ يعني أنا أيضًا القائم بهذا العمل، قال: « نعم تتصدق عنها »[٢].

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢ / ١٧٥) برقم: (٤٣٢)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤/ ٨) برقم: (٢٧٦٠) ومسلم في "صحيحه" (٢ / ٦٩٦) برقم: (١٠٠٤)

ومن ذلك أيضًا: قضاء الصوم الواجب عن الوالد، أو الوالدة سواء كان صوم نذرٍ، أو قضاء لعموم قوله -عليه الصلاة والسلام-: « مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»(١)

وكذلك الحج عنه إن لم يكن قد حج، فقد ثبت في الحديث الصحيح من حديث عبد الله بن عمر أن العاص بن وائل السهمي أوصى أن يُعتق عنه مائة رقبة، قال: فأعتق ابن هشام خمسين رقبة، وأراد ابن عمر أن يعتق عنه الخمسين الباقية، قال: حتى أسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله إن أبي أوصى أن يُعتق عنه مائة رقبة، معروفة الرقبة وهي ليست موجودة الآن، إن أبي أوصى أن يعتق عنه مائة رقبة، وإن هشامًا، ابنه، أعتق عنه خمسين، وبقيت عليه خمسون أفأعتق عنه؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « إِنَّهُ لَوْ كَانَ مُسْلِمًا ، فَأَعْتَقْتُمْ عَنْهُ ، أَوْ تَصَدَّقْتُمْ عَنْهُ ، أَوْ حَجَجْتُمْ عَنْهُ ، بَلَغَهُ ذَلِكَ (٢)» يعني وصل إليه الأجر والثواب، قال -عليه الصلاة والسلام-: «إنه لو كان مسلمًا» لأن العاص بن وائل مات وهو كافرٌ والعياذ بالله -عز وجل-.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ٣٥) برقم: (١٩٥٢) ومسلم في "صحيحه" (٣ / ١٥٥) برقم: (١١٤٧)

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (٣ / ٧٨) برقم: (٢٨٨٣)

الشاهد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: إنه لو كان مسلمًا فأعتقتم عنه أو تصدقتم عنه بلغه ذلك، فهذا يدل على أن الأب المسلم إذا قام ابنه، أو ابنته ببعض الأعمال الصالحة فإن ذلك يجري له.

وفي الختام بقيت مسألتان:

المسألة الأولى: ما هي الأمور المعينة على بر الوالدين.

والمسألة الثانية: حكم الاحتفال بعيد الأم، الذي يقوم به كثيرٌ من الناس في هذه الأيام.

أما المسألة الأولى وهي: الأمور المعينة على بر الوالدين.

فأول تلك الأمور: الاستعانة بالله -سبحانه وتعالى-، والتوكل عليه في القيام بهذا العمل.

الأمر الثاني: استشعار أن هذا العمل وهو بر الوالدين طاعةٌ محبوبةٌ لله -عز وجل-.

الأمر الثالث: تذكر الفضائل التي ذكرها الله -تبارك وتعالى- في كتابه ونبيه -عليه الصلاة والسلام- في سنته.

الأمر الرابع: مجاهدة النفس على هذا العمل، فإن كثيرًا من الناس يتثاقل القيام بهذا العمل، ومن جاهد نفسه هُدي كما قال الله -تبارك وتعالى-: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}[العنكبوت:٦٩].

الأمر الخامس المعين على بر الوالدين: نقول لهذا الشخص الذي هو مقصرٌ أو عاقٌ والعياذ بالله: لو كان لك أبناء كيف تتمنى أن يكون أبناؤك لك، لا شك إن كان عاقلًا سيجيب بالإجابة المعروفة وهي طاعتهما، برهم له والإحسان إليه، وقيامهم بخدمته .

فنقول: هكذا لا بد أن تكون إذًا بوالديك، فالجزاء من جنس العمل، إن قام الإنسان بما أوجب الله عليه تجاه والديه فإنه ولا بد أن يهيئ الله -تبارك وتعالى- الأبناء لبرهم، هذه بعض الأمور المعينة على بر الوالدين.

المسألة الأخيرة: حكم الاحتفال بعيد الأم.

أقول قبل هذا تقدم في مطلع هذه الكلمة أن ديننا كاملٌ من كافة الوجوه، وعامة الجوانب، ليس فيه نقصٌ بوجهٍ من الوجوه، قال -عز وجل-: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي }[المائدة:٣]، فهذا يدل على أن ديننا كامل.

الأمر الثاني: نحن ننظر إلى هذه الأعياد وهذه المناسبات التي يقوم بها الناس، عندنا ميزان نعرضها عليه، ميزاننا كتاب الله -عز وجل-، وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعمل الصحابة رضوان الله عليهم، يقول الله -عز وجل-: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى}[النساء:١١٥].

{ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} يعني غير سبيل الصحابة، ما جزاؤه؟ {نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}[النساء:١١٥]، فهل هذه الأعياد كانت موجودة في ذاك العهد الذي شهد له النبي -عليه الصلاة والسلام- بقوله: «خير القرون قرني»

إن كان الجواب بنعم نقول: هاتوا الدليل .

وإن كان الجواب: بلا، فنقول: خير الهدي هدي محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-، ولو كان هذا الأمر خيرًا لسبقنا إليه أحرص الناس على الخير وهم صحابة النبي -عليه الصلاة والسلام-.

الأمر الرابع: أن من أصول ديننا، وقواعد شريعتنا: مخالفة الكفار في جميع أعمالهم الدينية، والدنيوية أو العادية المختصة بهم، لاحظوا أقول: المختصة

بهم، فإذا ثبت أن هذا الأمر خاصٌ بالكفار دينيًا، أو خاصٌ بهم من جملة العادات فإنه يحرم تعاطيه وعمله مباشرةً.

طيب، على هذه القاعدة نأخذ هذا العيد المسمى: بعيد الأم الآن.

هل هو من أعمال المسلمين؟ الجواب: ثبت لنا أنه ليس من أعمال المسلمين.

هل هو من أعمال الكفار؟ بعد البحث والنظر نعم، ثبت أنه من أعمال النصارى.

طيب إذا ثبت أنه من أعمال النصارى هل هو من جملة العادات، أو من جملة الاعتقادات الدينية؟

الجواب: بعد البحث والنظر تبين أن سبب هذا العيد ديني،

كيف ديني؟

أولًا: النصارى، الله -تبارك وتعالى- اختص عيسى -عليه الصلاة والسلام- بأن يكون له أمًا دون أب معروفٌ هذا وثابت ولله الحمد.

فالدافع للنصارى على الاحتفال بعيد الأم هو هذا، هو كون أن عيسى -عليه الصلاة والسلام- ليس له إلا أمٌ فقط دون الأب، فقالوا: بناء على هذا الذي هو موجود عندنا أن إلههم -والعياذ بالله هكذا يقولون- أن عيسى عليه

السلام له أمٌ دون أب فنحن نحتفل بهذه الأم ونجعل لها يومًا من السنة نحتفل به، وهو ٢١ مارس من كل عام.

إذًا ثبت عندنا أن هذا العيد سببه ديني، فما موقفنا نحن المسلمين تجاهه؟

واجبنا تجاهه هو: عدم مشاركتهم في أي مظهرٍ من مظاهر هذا العيد، سواء بتهنئة عن طريق الهاتف، أو بتوزيع ورود، أو تذكير بهذه المناسبة لغرض التهنئة، أو بغير ذلك من مظاهر الاحتفال بهذا العيد المسمى بعيد الأم.

إذًا ثبت أن فعل هذا العيد من أعمال النصارى، والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: «ومن تشبه بقومٍ فهو منهم» وهذا الفعل منهم ناشئ عن هوى، كما قال الله -عز وجل-: {وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}[المائدة:٤٨]، فعندنا ولله الحمد شرعة كاملة، وعندنا منهاجٌ كامل فلماذا نلجأ إلى هذا العمل؟!

ثم أقول: أعمال الكفار لا تخلوا من أمرين اثنين:

إما أن تكون باطلة.

وإما أن تكون ناقصة.

فهل ديننا باطل حتى نلجأ إلى مثل هذه الأعياد؟

أعوذ بالله، هل ديننا ناقص حتى نكمله بمثل هذه الأعياد؟

الجواب في السابق: فإذا كانت أعمال الكفار تدور بين هذا وهذا، ما بين أنها باطلة أو ناقصة فلماذا يُلجأ إليها؟! وعندنا في شريعتنا ولله الحمد ما يغنينا، وعندنا ولله الحمد ما فيه كافيةٌ عن هذه الأعمال الموجبة لسخط الله -تبارك وتعالى-، والتشبه بأعداء الله.

إذًا نقول: الاحتفال بهذا العيد محرم لما فيه من المفاسد:

المفسدة الأولى: أن فيه تشبهًا بالكفار وكفى بذلك مفسدة.

الأمر الثاني: هو يؤدي إلى إهمال في الحقيقة، فلا تتذكر الأم ولا يُقال بشأنها إلا في هذا اليوم، وهذا هو حال الكفار في مثل هذا اليوم، طوال العام الأم مهملة، فإذا جاء هذا اليوم زعموا أداء حقوقها في هذا اليوم المزعوم.

وفي الختام أوصي نفسي وأوصيكم بالعناية بوالدينا، سواء كانوا أحياءً أو أمواتًا حتى نسلم من دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- على أقل الأحوال، فقد صعد النبي -صلى الله عليه وسلم- المنبر يومًا، فقال: «آمين، آمين، آمين» فاستغرب الصحابة رضوان الله عليهم من تأمين النبي -عليه الصلاة

والسلام- مع وجود موجب التأمين؛ لأنهم لا يسمعون شيئًا ولا يرون شيئًا، فقالوا: يا رسول الله إنك صعدت المنبر فقلت: آمين، آمين، آمين، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «إنه أتاني جبريل آنفًا فقال: من أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخل الجنة قل آمين فقلت آمين» فالإنسان عليه أن ينتبه لهذا.

بل قال -عليه الصلاة والسلام- في حديث آخر: «رغم أنف امرئ، رغم أنف امرئ، رغم أنف امرئ» يعني دعاءٌ عليه بالذل، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة»(١).

إذًا وجود الوالدين سببٌ من الله -تبارك وتعالى- مهيأ إلى دخول جنته .

أسأل الله -تبارك وتعالى- أن ينفعني وإياكم بما سمعنا إنه ولي ذلك والقادر عليه

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

****

(١) أخرجه البزار في "مسنده" (١٢ / ٣٥٤) برقم: (٦٢٥٢)

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية
نعتني بنقل العلم الشرعي في دولة
الإمارات العربية المتحدة